الثورة
يومية سياسية

تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة و الطباعة و النشر

الفنان التشكيلي الياس زيات: دمشق.. الأم التي ربتنا..وتراثنا سبق الأوروبيين بالحداثة

في منازلهم
الأثنين 2-4-2012
لقاء: تماضر ابراهيم - عمار النعمة

الياس زيات رائد من رواد الفن السوري المعاصر ومن الفنانين الأوائل الذين استطاعوا أن يبتكروا لأنفسهم مكانة فنية خاصة معتمدين على موهبتهم وتاريخهم الحضاري الغني بتراثه الفني العريق، طامحين إلى تأسيس بداية حقيقية للتشكيل السوري،

انطلق الزيات في أعماله إلى تصوير العالم بكل هواجسه وهمومه وأحلامه بأسلوب تعبيري رمزي عال، تمكن من أدواته بحرفية نتجت عن تجارب فنية وأبحاث ودراسات، استمدها من ثقافة أدبية وموسيقية أبدع منها عوالم كان لها تأثير كبير في تحولات تشكيلية أبدعها الزيات واعتمدها العديد من الفنانين الكبار بعد ذلك.

اهتم الزيات بالأيقونة وتحولات اللون، رسم مريم المجدلية ومحيي الدين بن عربي.....

«الثورة» التقت الفنان التشكيلي الياس زيات في منزله، وكان اللقاء الآتي:

- مسيرة حياتك غنية ماذا تحدثنا عن البدايات ؟

-- منذ عامين أُقيم معرض في حمص, في صالة (النهر الخالد) وقد أصرّ القائمون على المعرض أن يكون الافتتاح بوضع لوحات لي، ولذلك قمت بجمع عدد من اللوحات وعرضتها في المعرض، وبدا المعرض وكأنه معرض استعادي ويومها قدمت حوالي 12 صفحة كتبت ه خلالها عن الذكريات وتحدثت أيضاً كيف بدأت وكيف كنت ارسم منذ أن كنت طالباً في المدرسة، لاسيما وأنني
مرتبط ارتباطاً كبيراً بالحارة الدمشقية, فأنا تربيت وترعرعت في حارة الجوانية في دمشق القديمة، وكان فيها أشجار متنوعة، وبحيرة ماء, وأنا أعشق تلك الطبيعة كثيراً...

في الخمسينات زارنا الفنان المرحوم «ميشيل كرشة» وقد اطّلع آنذاك على ما رسمت وأذكر أنه قام برسم ارض الديار وقال لوالدي (اشتر له علبة ألوان) وأنا سأقوم بتعليمه كيف يرسم، وبالفعل بدأ يعلمني مبادئ الرسم منذ عام 1952-1955وكنت ارسم يومها بقلم رصاص والقليل من الألوان المائية ومن ثم تعرفت على الألوان الزيتية من خلال المرحوم ميشيل.

في سنة 55 أعلنوا عن مسابقة في وزارة المعارف لدراسة الرسم فلم يكن لدينا فنون، نجحت وذهبت إلى بلغاريا وهناك بدأت أدرس وهكذا..

- ما هي المدرسة التي تأثرت فيها ؟

-- في فترة الخمسينات والستينات والسبعينات كان الناس والفنانون يحبون تصوير الأشياء كما هي بمعنى تصوير «رجل أو حارة أو بحيرة ماء», وهذا الجو ينتمي إلى المفهوم الواقعي أي تصوير الأشياء كما تراها العين وهنا أود أن أشير أن هذا الواقعي أي الفن العالمي مرّ به عصر النهضة الأوروبي وهذا العصر كان يتشاطر ويتفاخر بالصورة أي إظهار الرجل كما هو، والسبب في ذلك أن الأدب والشكل النحتي (الإغريق والرومان) كان مؤثراً على الفن، وبعد النهضة بدأنا نسير في هذا المدى الواقعي.

في فترة الستينات والسبعينات كنا قد عدنا من أوروبا وكنّا متشربين من الحداثة الأوروبية ولذلك قررنا أن نقوم بالحداثة في بلدنا، لاسيما أننا وجدنا أن تراثنا قد سبق الاوروبيين بالحداثة فلماذا لانتبنى فنوننا القديمة، ومن خلالها نقوم بمعاصرة عربية سورية, فاكتشفنا أنه لدينا شيء اسمه الخط العربي، ولدينا رسم معبر عن أشخاص رُسم في الفترة الأموية على جدار القصور وهو رسم جميل جدا جداً، أنا شخصياً عُدت إلى تدمر ورأيت كيف كان النحات التدمري يعالج الشكل في الفترة الرومانية أي في القرن الثالث الميلادي, ووجدت أن الأشكال التدمرية لو وضعناها أمام الأشكال الرومانية سنجد أن هناك فرقاً، بمعنى أضاف من مخزونه وجناته فكان فناً متميزاً جداً.

- هل رسخت حضارة سورية في لوحاتك ؟

-- بالطبع رسخت الكثير, وهنا تطور من الشكل الواقعي إلى الشكل التعبيري إلى الرومانسي، وأنا الآن أقوم بلوحة هي عبارة عن شيء اسميه «مسرح» أي تصوير مسرحي تشكيلي يتحدث بلغة فنية معاصرة وليس بلغة قديمة

- ولماذا اخترت المسرح ؟

-- لا لم أختر, بل إن لوحتي ظهر بها المسرح فهي تضمنت تمثيلاً وقصة واخراجاً، وإخراجاً اللوحة علم قائم بذاته وخصوصاً في الفكر المعاصر فالمنظرون عددهم كبير الذين كتبوا كيف تُخرج لوحة معاصرة وهذا قد علمته في الجامعة، وهذا كله قمت بتصويره إخراجياً في لوحتي.

- رسمت الأيقونة وبحثت في تاريخها ماذا تخبرنا عن ذلك ؟

-- نعم بحثت في تاريخ الأيقونة فموضوع الأيقونة تعرفت عليه من خلال دراستي لتاريخ الفن، ولكن جذورها المحلية السورية تعود إلى تدمر ومصر في القرن الثالث والرابع قبل الميلاد مع بعض الاختلافات بين المكانين، لقد كان هناك تلاحم وتمازج بين فنون المنطقة، وكان من الصعب الفصل تماماً مع تبادل التأثير، لقد وجدت حجر الأيقونة في جداريات دورا أوروبوس، وقد استهوتني هذه الطريقة في التعبير وأحببت أن أرسم أيقونة تنطلق من هنا، لكن الناس لم تعجب بتلك الطريقة في الرسم، ثم انكفأت عن الرسم بهذه الطريقة.

عندما تقول فكر الأيقونة وفكر الأسطورة وفكر جبران فمن هذا الثالوث تنبع طريقتي في الرسم، وجبران قام بهذا أيضاً إذ تخيل أورفاليس المدينة في كتاب النبي وأجرى الحوار المدرحي (المادي والروحي) على لسان المصطفى وأبناء أورفاليس، فجبران بالإضافة لكونه طرح أفكاراً مثالية، طرح فكره عن العمل بطريقه اشتراكية وبفهم للرأسمالية، أما أيقونتي فهي تأتي من هنا، ولقد رسمت المدينة المصلوبة، ففي فترة الثمانينات كنا متحمسين جدا للقضية الفلسطينية وبالتالي رسمت عدة لوحات عن المدينة المصلوبة لكن مدى تقبل الناس لهذه الطريقة هو ما توقفت عنده.

- استاذ الياس من خلال تاريخك وتعمقك بالفن وتقنيتك وأدواتك لديك رسالة معينة، أو مشروع فني هل تحدثنا عنه ؟

-- سورية غنية بالفن، وفي تاريخ الفن السوري نرى مفهوم الفن في حياة الناس، لا في لوحة معلقة على جدار، كانت الأقمشة مليئة بالفن كذلك الحدادة والنجارة، ففي البيوت الغنية كان موجوداً الفن الغني، وفي البيوت الفقيرة أيضا وجد الفن «على قد الحال» يتجلى في أدوات المطبخ النحاسية وأطباق القش وغيره، وفي تاريخنا وتراثنا لم نفرق بين فن أشياء للاستعمال وبين فن جميل في لوحة، وأتمنى من الجيل الجديد أن يستمد من الفنون الشعبية ويستوحي منها، وهذا جزء من رسالتي..

فاتح المدرس رحمه الله أنتج فنا جذوره من هذه الأرض نحن هكذا نفهم، عندما عرض هذا الفن في أوروبا انبهروا به وقدروه كثيرا على أساس أنه فن بدائي، هذا الكلام مرفوض لأن فاتح المدرس ينتج فنا متجذرا له علاقة بالتراث والتاريخ، الآن يوجد من يشرح فاتح المدرس على أساس صحيح هنا وفي الخارج ووضحت قيمته كفنان مهم.

- بأعمالك لامست الواقع من خلال عوالم ومفاهيم الإنسان وقضاياه الجمالية بأسلوب رمزي تعبيري، كيف تجسد مشاعرك شخصيا في الأسلوب الذي تتبعه؟

-- أنا فهمت فكر التطور لكن باعتباري متمكناً من التقنيات القديمة قمت بتطوير التقنية القديمة بدراسة، وطبقت المفاهيم التقنية القديمة وهي كيفية استخدام المواد والتقنيات مع بعضها وقدمت رؤية جديدة هي «أنا» ولست ملتزما لابالواقعي ولاالتجريدي ولا التعبيري.

استخدم الزيتي كتوشيح للمائي والاكريليك، واعتمد الطبقات أحيانا، وأحدد بؤر اللوحة ببعض الخطوط كدليل للمتلقي، وتبقى الخلفية أكثر حرية، وبالخبرة أمزج الخلفية دعينا نسمها التجريدية مجازا مع هذه العناصر الواقعية، وهذا أيضا يعتمد على المعرفة.

مثلا منذ ثلاث سنوات أقمت معرضا لجبران خليل جبران رغم قراءاتي لجبران عدت وتعمقت به أكثر وفهمت ما استطعت من فكر جبران وطرحت انطباعي عنه في عدد من اللوحات، حاليا أقرأ ابن حلبي هذا المتصوف الكبير ولا أدري بماذا سأخرج.

- مراحل بحثك ما هي ؟

-- بالفن في تراكم خبرات

- هل تغير اسلوبك ؟

-- في المظهر فقط.

- اشتغلت واقعياً تماما أو تجريدياً أو كلاسيكياً؟

-- «اشتغلت وما اشتغلت» أنت تحاسبيني بالمفاهيم الأكاديمية المتعارف عليها، عندي لا تصح لأنني صحيح أعتمد على قراءاتي واطلاعاتي والموسيقا التي أسمعها ولكن أنطلق من قاعدة واحدة وهي معرفة الواقع.

بالمفهوم المعاصر الرسم هو الاستيحاء من الواقع لتركيب أشكال إن كان في النحت أو الرسم، اللوحة تستوعب رأي الفنان، أما الفن المعاصر شكل يقرب إلى العمارة أو الهندسة.

- ذكرت معاصرتك للفنان ميشيل كرشة هل تأثرت به ؟

-- طبعاً في تلك الفترة لم نكن نعرف شيئا أكثر من عدد قليل جدا من الفنانين المتقدمين الذين درسوا في أوروبا، كنا نقلدهم ونسألهم أحيانا يجيبونا وأحيانا يطردوننا، وعندما ذهبنا إلى دول أخرى اطلعنا على متاحف ورسامين كثر ومدارس، أصبحنا في نضج فني ساعد على تخصصية الأسلوب وتحديد المسار.

- مارأيك بالحركة التشكيلية في سورية هل تسير بالاتجاه الصحيح ؟

-- أنا لا أواكب إلا بعض المعارض وما ينشر في الصحف، هذا كله تراكم وهذه التجارب التي يقوم بها الشباب للأسف بدون توجيه وآسف لقولي هذا كل منهم ينطلق من ذاته ويجرب، مع التوجيه تكون النتائج أفضل.

- هل معنى هذا ان لديك ملاحظات على المنهج التدريسي ؟

-- طبعا المنهج يجب أن يتغير وهو تغير بالفعل ولكن لاأدري إذا كان يطبق بالفعل أم لا، المهم أن الشباب المميزين ينطلقون ولكن هذا تراكم وهو جزء من الحركة الفنية.

- في السنوات الأخيرة نشطت الحركة التشكيلية في سورية، ترى من موقعك الريادي كفنان هل ترى أنها ابتعدت عن مسارها الصحيح؟

-- لانعرف، إنما أصبح الفنان مسيّراً، بمعنى صار الفنانون يرسمون على ذوق التاجر، هنا تكمن المشكلة بل وتفاقمت في الاونة الأخيرة، وستعود ويكون لها ضوابط، مع أنها جيدة في بعض النواحي، المشكلة أن الجهات المعنية بالحركة التشكيلية (النقابة والوزارة والكلية) لاتقوم بدورها، المفروض أن يضعوا مفهوماً وليس توجيهاً للفن، توجيه الفن بطلت موضته، المفروض أن نرسل بعثات لدراسة النقد.

- أين تصنّف موقع الفن التشكيلي السوري في تطوير الاتجاهات الفنية في الحركة التشكيلية العربية والعالمية ؟

-- لانستطيع وصفه لأنه يحتاج إلى بحث وتدقيق وإحصاء، ولكن له ملامح فالفن لايعتمد على علم رياضي أوفيزيائي، الفنان ينطلق من بيئته ومجتمعه وثقافته وتاريخه، و هناك شيء مشترك بين الفنانين في البلدان المجاورة لسورية، دعينا نقل في المشرق العربي، وأتمنى أن يأتي من ينقل ملامح هذا الفن للخارج حتى لا يتحكم بنا الغرب عندما يقال: «هذا الفنان جيد لأنه يشبه فنانينا، وذاك فنان مرفوض لأنه قادم من منطقة بدائية».

- هل هذا يحيلنا إلى محاصرة النقد الفني فنلقي اللوم عليه ؟

-- النقاد يحتاجون بداية إلى دعم المؤسسات الفنية وتهيئة مجموعة من الفنانين الكتاب لدراسة الموضوع، بحيث تقام الندوات والمؤتمرات والدورات والتجمعات، كما كان في الستينات والسبعينات، النقد اليوم إما أنه لا يستطيع مواكبة حركة الفنان أو أنه يجامل ويمدح دون أي توجيه للفنان، مع أنني أعتبر مجلة الحياة التشكيلية مقروءة، لدينا فوضى تحتاج إلى تنظيم، وهذا التنظيم يعول على الجهات المعنية بالفن التي ذكرناها.

- برأيك هل هناك فرق في الناتج الفني التشكيلي بين امرأة و رجل ؟ بمعنى هل تختلف الأعمال التشكيلية بين النساء والرجال ؟

-- إذا كانت فنانة حقيقية لا نلاحظ وجود أي فرق، فالفن الجيد هو الفن الجيد، ولا يلاحظ وجود فرق بين رجل وامرأة، وإن جاز هذا

الاحتمال يكون في الموضوعات فقط.

- مؤخرا كثرت لدينا المراجع التي تؤرخ لفنانينا وتعيد إلى ذاكرتنا رواد الفن السوري، ترى كيف تراها من الناحية النقدية ؟

-- الكتب الحالية طبعت بشكل جيد لكن مثلا فاتح المدرس الذي كتب عنه بشكل جيد فقط هو أنطون مقدسي رحمه الله ولكن بمقالات صحفية وجذره بمفهوم صحفي وليس في كتاب، النقد التشكيلي فيه الكثير من الفلسفة وهذا سر تميز به د. عبد الله السيد الذي درس الفلسفة واشتغل بعلم الجمال والنقد ثم النحت وهو كاتب نقد أهم من كونه نحاتاً.

- هل أستطيع القول إنه يلزمنا منهج ؟

-- النقاد ليسوا مظلومين لأن المنهج يضعه النقاد، طارق الشريف كان ناقدا جيدا وهذا مانراه اليوم، بينما لم أر صحفياً يحلل المعرض دون اللجوء إلى مساعدة من الفنان.

المفروض أن تقام الدراسات العليا لكلية الفنون الجميلة في كلية الآداب ويدرس فيها النقد.

- كفنان مخضرم نعتز برأيه بماذا تنصح الفنانين الشباب اليوم.

-- حالياً تراجعت الحركة التجارية للفن وعاد الفنان إلى نفسه وإلى مرسمه، عندما تسأليني: لماذا أوالي للبلد، أقول: الكل يتحدث بالمعاصرة وأنا مع المعاصرة،أما بالنسبة للفن فهو لا شك أنه سيواكب النهضة.

- ماهي العناوين التي تحتويها مكتبتك المتخمة خاصة وأنها ملفتة في حجمها الموزع في أركان المرسم؟

-- مكتبتي فيها تاريخ فن وتاريخ عام وفيها آثار خاصة،إن تاريخ الفن مرتبط بتاريخ الآثار,و فيها كتب دينية إسلامية ومسيحية، وفيها شعر أنا أهتم بالشعر وهو مثل الفن خاصة محمود درويش الشاعر المدهش.

- ماهي النشاطات العلمية والإصدارات التي شاركت بها ؟

-- شاركت في تأسيس كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق وقمت بالتدريس فيها منذ تلك السنة، وحصلت على رتبة أستاذ منذ عام 1980 و شغلت منصب رئيس قسم الفنون ووكيل الكلية للشؤون العلمية أثناء عملي في الكلية، ألفت كتاباً «تقنية التصوير ومواده» لصالح طلاب الكلية وصدرت الطبعة الأولى من جامعة دمشق عام 1981-1982.

توليت مهمة الإشراف العلمي والفني على معرض وندوة «الأيقونة السورية» اللتين أقيمتا في مكتبة الأسد بدمشق عام 1987 وكنت مفوضاً للمعرض ومقرراً لجلسات الندوة في تلك التظاهرة، كما مثلت جامعة دمشق في اتفاقية التعاون مع جامعة لايدن لدراسة الفن في سورية في الحقبتين البيزنطية والإسلامية وذلك لمدة أربع سنوات ونتيجة ذلك صدر كتاب في لايدن 2000 باللغتين العربية والانكليزية وقمت بتحقيقه أنا ومات ايميرزيل.

عملت خبيراً في هيئة الموسوعة العربية في سورية لتحقيق موضوعات العمارة والفنون منذ عام 1995-2001 وكنت عضواً في مجلس إدارة احتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية عام 2008 كمسؤول عن معارض الفن التشكيلي...الخ.

بطاقة

- رسام ومصور يدوي وباحث في الفن التشكيلي.

- ولد في دمشق عام 1935 في حارة الجوانية حي باب توما.

- أتم دراسته الثانوية (الفرع العلمي) في المدرسة الأرثوذوكسية في دمشق عام 1954.

- تابع دراسة الرياضيات في شهادة «ر.ف» في الجامعة السورية في دمشق في عام 1954-1955.

-تعلم في أكاديمية الفنون الجميلة في صوفيا موفداً من الحكومة السورية وتعمق في دراسة تاريخ الفن، ثم تابع في كلية الفنون في القاهرة على يد الأستاذ عبد العزيز درويش بين سنتي 1960 -1961.

- تدرب على ترميم اللوحات الفنية في أكاديمية الفنون الجميلة في بودابست، كما قام بدراسات على كيمياء الألوان وتحليل المواد في متحف الفنون التطبيقية في بودابست.

- شارك في العديد من المعارض المحلية والعربية.

E - mail: admin@thawra.com

مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر ـ دمشق ـ سورية